المحاضرة الرابعة : الفصل الثاني

عهد الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر / الجزء الثاني/ المصدر : نهج البلاغة

التوضيح والأعراب :

العهد : الوصيّة والتقدم إلى المرء في الشيء، وعهد اليه في كذا ، أوعز اليه به أوصاه به

،

وتقول : (عهد فلان إلى فلان عهد"ا: ألقى اليه العهد وأوصاه بحفظه) .

(جباية خراجها) . الجباية لغة التحصيل والجمع ، ومنها جباية الضرائب في العصر الحديث أي جمعها ، وكذلك (جباية أموال الزكاة) جمع الزكاة وتحصيلها .

(الخراج) رسوم تفرضها الدولة الإسلامية على من يقيمون فيها من مسلمين وغير مسلمين مقابل ما يملكونه أو يحوزونه من أراض ، وهي تقابل في المفهوم الحديث الضرائب التي تفرض على العقارات .

(وإيثار طاعته) ، الإيثار التقديم والاختيار ، والاختصاص ، فآثره إيثارا" اختاره وفضلّه ، ويقال أثره على نفسه ، وقوله (عليه السلام) (وايثارطاعته)، أي تقديمها ، وتفصيلها ، (الفرائض) ما أوجبه الله على عباده من حدوده التي بينّها ، بما أمر به وما نهى عنه مثل الصلاة فريضة ، و طاعة الوالدين فريضة والفرائض جمع فريضة ، هو علم يعرف به قسمة المواريث . والفرض ما أوجبه الله على عباده .

(وسننه) السنن ، مفرده سنّة ، والسنّة لغة هي الطريق والسيرة، والإصلاح : السنة والسنن تطلق على المسحّبات والآداب . والسنن التي التزم المسلمون بأدائها بصورة منتظمة .

(ويزعها عند الجمحات) (يزع) يكف ويمنع أي يكفّ نفسه (الجمحات) هي منازعة النفس .

الأعراب :

(هذا ما أمر به عبد الله عليّ أمير المؤمنين – مالك بن الحارث الأشتر) .(هذا) أسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ (ما) اسم موصول مبني على السكون بمعنى الذي وهو خبر للمبتدأ . وجملة (أمر به عبد الله).(أمر) فعل ماض (به) جار ومجرور (

عبد الله) (عبد) فاعل للفعل (أمر) مرفوع وهو مضاف (الله) لفظ الجلالة مضاف اليه)، (عليّ) بدل من عبد الله مرفوع ، و (أمير) نعت لعبد الله) وهو مضاف (المؤمنين) مضاف اليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم ، (مالك) مفعول به منصوب (بن) نعت منصوب (لمالك وهو مضاف (الحارث) مضاف اليه مجرور ، الأشتر(نعت آخر لمالك منصوب .وتعد هذه الجمل التي جاءت بعد الاسم الوصول (ما) صلة الموصول لا محل لها من الأعراب .

(حين ولاّه مصر ، جباية خراجها ، وجهاد عدّوها..) (حين ظرف زمان مبني على الفتح ، (ولاّه) ، فعل ماض ، والفاعل ضمير مستتر في محل رفع (هو) ، و(الهاء) ضمير متصل مبني على الضمّ في محل نصب مفعول به (مصر) مفعول به منصوب ، (جباية) مفعول لآجله منصوب ، وهو مضاف (خراجها) مضاف اليه ، وهو مضاف و(الهاء) مضاف اليه في محل جر ، و (جهاد عدّوها) ، الواو حرف عطف (جهاد) معطوف عليه ، وهو مضاف (عدّوها) مضاف اليه .

(وإيثار) الواو حرف عطف (إيثار) معطوف على (تقوى)، وهو مجرور بالكسرة ، (التي) اسم موصول مبني على السكون في محل جر نعت لما قبلها ، (من فرائضه وسننه) ، (لا يسعد) (لا) نافية غير عاملة (يسعد) فعل مضارع مرفوع بالضمة (أحد) فاعل مرفوع (ألا) أداة حصر،(يشقى) فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) ، وجملة (لا يشقى) معطوفة على جملة (لا يسعد) .

(فانه جل اسمه قد تكفّل بنصر من نصره واعزاز من أعزّه). (الفاء) استئنائية (انّه) (انّ) حرف مشبّه بالفعل (والهاء) ضمير متصل في محل نصب اسم (انّ) (جل اسمه جملة مكونة من فعل ماض ، والفاعل (اسمه) ، والجملة في محل نصب نعت لاسم (انّ) ، (قد) حرف تحقيق (تكفّل) فعل ماض مبني على الفتح ، (بنصر) جار ومجرورفي محل نصب مفعول به للفعل (تكفل)، (من) اسم موصول بمعنى (الذي) ، (نصر) مضاف ، والاسم الموصول (من) في محل جر مضاف اليه ، (نصره) فعل ماض ، والفاعل ضمير مستتر في محل رفع (والهاء) ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، وجملة (نصره) صلة الموصول لا محل لها من الأعراب ، وجملة (قد تكفّل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزّه) . في محل رفع خبر (انّ) ، وإعزاز معطوف على الجار والمجرور (بنصر).

ويقول (عليه السلام) أيضا في عهده :

((ثمّ اعلم يمالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت دول قبلك ، من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ماكنت تنظر فيه من أمور الولادة قبلك ، ويقولون فيك ماكنت

تقول فيهم ، وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحبّ الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح ، فأملك هواك وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ ، فان الشح بالنفس الأنصاف منها أحببت أو كرهت)).

يواصل الأمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عهده لمالك (رضوان الله عليه) ، وهو يوجهه ويوصيه بأسلوب وعظي يسرد له الوقائع التي مرّت بهذا البلد وهو (مصر) بعد ما أخفق الولاة في أدارتها ، وتفاقمت الأمور عليهم ، وقد جاء أسلوبه بالالماح والإشارة إلى هذا الواقع وهذا الحال كي يقف عليه متلقي الخطاب متدبرا" له مقبلا" عليه .

لقد أعطى الأمام (عليه السلام) صورة نبّه فيها مالكا إلى نفسه وهو يدير أمور البلاد ويطلب منه أن يضع نفسه كواحد من أفراد المجتمع في تلك الأيام والدول التي حكمت البلاد بين عدل وجور ،وما تجره هاتان المفردتان المتضادتان ، وما تؤديه من انعكاسات على الانسان ، وما ينتج عن ذلك من شعور تجاه الوالي ، فقد ولدّ النصّ الشريف في نفس المتلقي الذي يتولى زمام الامورالتجربة حينما يضع نفسه كواحد من أفراد المجتمع الذي يخضع إلى جور الحاكم أو إلى عدله ، فلا بد أن يكون هذا الأمر محسوسا" لديه ، وملموسا" عنده ، وبهذا الكلام غير المباشر الذي يخرج الأمر ، وهو أسلوب تهذيبي يخفف فيه وطأة الأمر الصارم ، وهذا ما يدل عليه قوله (عليه السلام) : ((وأن الناس ينظرون اليك من أمورك في مثل ماكنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم)).

يشير (عليه السلام)إلى صلاح الحاكم الذي ينعكس على صلاح الرعية فهم مرتبطون به وكذلك صلاح البلاد أيضا" وهم يلمسون ذلك من خلال الأمور التي ينجزها ويؤديها على اكمل وجه ، ومن ثم فأن هذا يعكس ولاءهم وانقيادهم وإطاعتهم له ، واذا كان غير ذلك فالأمر يكون خلاف ذلك ، وينقلب إلى ردود فعلهم وعصيانهم والوقوف بوجهه وبهذا فأنه (عليه السلام) يريد منه وضع الامورفي مواضعها ، واتباع الطريق الصحيح لذلك جاءت عبارته تحثه على ذلك بقوله (عليه السلام): ((وانّما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن أحبّ الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح)) .

يشير الأمام (عليه السلام) إلى ما سوف يجعله محمودا" والى ما يجعله طيب الذكر على ألسن الناس عباد الله ، والى ما هو باق له في الدنيا والآخرة ، وهو أن يجهد نفسه في الحصول على العمل الصالح .

الذخيرة لغة هي المؤنة ، وهو ما يدّخر من القوت (أعمالك) ذخائرك عند الله: ما يعد للآخرة من الأعمال الحسنة ، فالأمام (عليه السلام) يثير في نفس المتلقي من خلال هذه العبارات حبّ العمل الصالح ، وهو أمر صريح بواسطة الفعل المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر وهو قوله : (وليكن) وهو العمل الباقي الذي ينفع الانسان في العاجل والآجل

وسمي العمل الصالح ذخيرة ، لأنه هو الذي يعتمد عليه في وقت الشدة ، كما يعتمد المقاتل بما بقي من لديه عتاد يدافع به عن نفسه وهو المسمى مصطلح العسكر ب (الذخيرة) .

يلحظ ان إرشاد الأمام (عليه السلام في دعوته الصريحة هو التمسك بذخيرة العمل الصالح ، وقد جاء بعد ما مهّد له بكلامه الشريف المتقدم بقوله : (وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده) ليكون هذا الكلام نوعا من الترغيب ،قبل مجيء الأمر الصريح بوساطة الفعل (فليكن) ، وهذا أسلوب (ا قناعي) فيه تناسب وترابط بين الطرفين .

لما أوضح النص الشريف الطريق الحق والصواب وهو طريق العمل الصالح ، والمبني على مخافة الله ، لان (رأس الحكمة مخافة الله)فقد جاء التحذير بوساطة الأمر ليكون تأكيدا" على صلاح النفس واستقامتها ، وقد تمثل ذلك التحذير من اتباع النفس للهوى، والشهوات ، وارتكابها ما لا يحله الله تعالى فجاء قوله:(فأملك هواك وشح بنفسك عمّا لا يحل لك) فالفعل (أملك)أي أمسك هواك ، وأخضعه لك ولا يغلبك هواك ، وقوله (عليه السلام) (وشح بنفسك) أي اجعل نفسك ضنينة بخيلة غير راغبة بما لا يحل الله من المحرمات ، وقد دلّ النص الشريف على أن يكون هذا البخل والضن في النفس موزعا بين نصفين بين الحب والرغبة في الشيء و الميل اليه مما هو محرم وكذلك النصف الثاني جاء في المعنى المقابل للحب وهو الكره بما لا يحق ، وهو الضغية والحقد بغير وجه حق ، فهذا لا يجوز .